

تقرير الموسم الرابع عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م لمشروع البعثة السعودية الفرنسية في مدائن صالح

كرستيان أوجيه ، ف برنارد ، بي دال- برا ، ي جيربر ، ليلي نعمه ، إيزابيل ساشيه*

جبل أثلب أو أي بقعة بالموقع ومواقع المراجع النقشية، وعدد نصوص ما يحويه كل منها، والتأكد هل سبق نشرها، والتقاط صور لكل نص على حده... إلخ.

٣ - وضع خريطة للنصف الشرقي من جبل أثلب، تتجاوز المنطقة التي غطتها خريطة المعهد الجغرافي الوطني. والجدير ذكره أن الصور الجوية ومن ثم خريطة المعهد الجغرافي بمقياس ١:١٠٠٠ لا تغطي سوى جزء صغير فقط من جبل أثلب يتمثل في طرفه الغربي. وبالتالي لم يكن بالإمكان تحديد سوى عدد قليل من الآثار الدينية المسجلة عام ٢٠٠٢م على الخريطة. أما الخريطة الجديدة فصممها بول كوريون بمساعدة توما أرنو على برنامج الصور (QuickBird) مستثنين على خريطة بها (٨٠٠) نقطة تم تحديدها باستعمال مزواة (theodolite) وخطوط متعددة وأخرى متقاطعة فضلاً عن خطوط إشعاعية وتقاطعات. وقد حُدثت للصورة التي تم التقاطها باستخدام برنامج (QuickBird) مراجع جغرافية. وفي عام ٢٠٠٣م أضيفت إحداثيات النقاط الأرضية الأساسية باستخدام جهاز تحديد الإحداثيات مع الإسقاط (UTM) في المنطقة (٣٧)، نظام WGS 84. وتتوافق الارتفاعات التي تم استخدامها مع تلك التي حددها المعهد الجغرافي الوطني عام ١٩٧٨م فيما تعلق بعلامة مسح محطة سكة القطار.

٤ - التقاط عينات فحم ومواد أخرى من قبل جان - باتيست ريفو في مناطق ذات أهمية خاصة لدراسة البيئة القديمة للموقع. وسوف يتم تحليل هذه العينات وفق كربين ١٤.

٥ - اكتمل المسح الضروري لإنجاز الخريطة الأثرية ضمن المنطقة التي غطتها خريطة المعهد الجغرافي الوطني، خاصة المناطق الصخرية للمحمية بين السياج الغربي للموقع والحد الغربي لخريطة المعهد الجغرافي، وأيضاً أقصى شمال-غرب الموقع. ويشار إلى أن هاتين المنطقتين لم يتم استكشافهما خلال ٢٠٠٣م؛ وقد سُجلت (١١٩) قطعة جديدة في قاعدة بيانات (GIS) نفذها توما أرنو بمساعدة خالد الحايطي وحمود العنزي. وقد تجاوز استكشاف الموقع حدود خرائط المعهد الجغرافي الوطني (IGN)، أساساً لتسجيل الآبار،

واصل المشروع، الذي أطلقتته وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية سنة ٢٠٠٢م، أعماله التقييمية للموسم الرابع (١). وهدف المشروع - وهو برنامج مدته خمسة أعوام - الآتي: مسح الموقع، وجرد المعثورات، وإعداد الخريطة الأثرية له، أساساً لكن ليس حصراً، وفق الحدود المرسومة لمنطقة مدائن صالح المحددة من وكالة الآثار في الثمانينات. ومنذ عام ٢٠٠١م والمشروع يجمع بانتظام معلومات عن جميع أطلال الموقع الأثرية بعدة طرق: تحليل الصور، والمسح العادي، وكشف طبيعة الأرض، والتحليل المعماري... إلخ. كما أمكن الرجوع إلى عدة مصادر موثقة، كالصور الجوية مقاس ١:٥٠٠٠ من تصوير المعهد الجغرافي الوطني (IGN) عام ١٩٧٨م، وصور الأقمار الصناعية عالية الدقة (Quick Bird)، وخرائط - مقياس ١:١٠٠٠ - من إنجاز المعهد الجغرافي الوطني مرقمة ومدمجة في قاعدة بيانات (GIS) ... إلخ. والجدير ذكره أن قائمة الأطلال الأثرية في الموقع أصبحت تضم النقوش أيضاً. وقد سميت كل بقعة عُثر فيها على نقش أو أكثر بـ (نقطة نقشية) وتم تسجيل موقعها المحدد. وهناك تقريباً ٢٠٩ من هذه النقاط تضم نقشاً أو أكثر مكتوبة بعدة لغات وخطوط مختلفة (٢). ولن نتطرق هنا إلى المسائل الأساسية في صميم استراتيجية البحث، مثل وظيفة وزمن وطبيعة هذه المستوطنة بالحد الجنوبي من المملكة النبطية. سنقدم فقط بعض النتائج التي تم التوصل إليها خلال الموسم الميداني الأخير في شهري نوفمبر وديسمبر عام ٢٠٠٤م.

إن هدف المشروع على المدى القصير هو نشر النتائج ضمن ثلاثة أجزاء. الجزء الأول سوف يُخصص للقبور التذكارية والمقابر الجماعية، والثاني للآثار الدينية في الموقع، في جبل أثلب وفي المناطق الأخرى جميعاً. وسيحتوي هذا الجزء على كل نقوش جبل أثلب فضلاً عن نقوش الأماكن الدينية الأخرى. أما الجزء الثالث فسيتناول الفضاء المدني لمدائن صالح في مجموعه، مع التركيز على المستوطنة الواقعة داخل سور المدينة، كما سيتناول البيئة والفخاريات.

جاءت الأعمال المنفذة عام ٢٠٠٤م كالتالي:

- ١ - المسح الجيوفيزيائي وقد أظهر نتائج طيبة
- ٢ - فرز المنقوشات المرتبطة بالمعابد سواء في منطقة

وقد فاق عددها ما توقعناه في الأصل.

٦ - تسجيل النقوش العربية على جبل أثلب جهز الشمري.

٧ - الوصف التصنيفي للقبور ويشمل طريقة سدها قديماً أعده في برنار ولىلى نعمه.

٨ - فحص مجموعة كسر فخارية وتسجيلها ووصفها التقطتها إيفون جريبر وإيزابيل ساشيه من عدة أماكن بالموقع.

وسيعرض هذا التقرير بشيء من التفصيل النتائج المستخلصة من آخر موسمين فقط، وسيضاف إليهما النشر الأولي لقليل من المعثورات الصغيرة.

القبور

بما أن المجلد الأول حول مدائن صالح سيتطرق إلى المقابر، فقد دُونت ملاحظات إضافية عن القبور خلال موسم ٢٠٠٤م. والحقيقة أنه خلال الموسم من عام ٢٠٠١م حتى ٢٠٠٣م كان هناك اهتمام خاص بالعمارة وطرق النحت المختلفة والزخارف المعمارية، وكذلك بالتسجيل الفوتوغرافي لكل المقابر، لكن دون وصف تفصيلي لكل قبر على حده. وقد توفرت معلومات كثيرة لازمة لوصف المقابر من مخططات القبور التي أنجزها جان - بيار برون، ومن الصور التي التقطها جان - ماري دنزر و جي. فراندس، إلا أن بعض التفاصيل ربما يكون قد تم إغفالها في هذه التقارير. ولعل واحداً من جوانب هذا الوصف يتعلق بطريقة إغلاق القبور.

مداخل القبور:

لم يسبق من قبل فحص طريقة سد مداخل القبور النبطية رغم أن البتراء تضم أكثر من ٦٠٠ قبر، بعضها له طريقة إغلاق واضحة. ولم يتم إنجاز أي دراسة في العاصمة النبطية ربما لوجود أعداد كبيرة من الأبنية الجنائزية. على العكس من ذلك، نجد أن عدد القبور في الحجر منخفض بحيث يمكن إجراء دراسات عن مداخل تلك القبور. فضلاً عن ذلك، يمكن الوصول لهذه القبور جميعاً بكل سهولة.

لعل أول سؤال يتبادر للذهن هو ما إذا كانت المنشآت التي تم فحصها وطريقة بنائها ترقى إلى تاريخ قديم. بعض القبور يتبين بشكل واضح أنه قد أعيد استخدامها، ومن المحتمل أن إغلاقها لاحق للاستيطان القديم للموقع. وقد لوحظ داخل الغرف الجنائزية روث وأتربة متماسكة ووجود أثر مواقد نار أو بقايا نيران في بعض المشاكي الجنائزية خلفها رعاة

أو مستوطنون عابرون (قد تكون هذه الغرف باردة جداً في الشتاء). إن الطبيعة المؤقتة لهذه المعالم تظهر في حقيقة أن المواقف لم يتم أبداً بناؤها، كما أن لا أثر لدخان في المشاكي؛ إنما تلاحظ آثار السواد فقط في الموقد نفسه. ومن الأرجح أن بعض القبور استعملت كحظائر أغنام، إذ إن الغرف الصخرية تُعدُّ ملجأً ملائماً للحيوانات لتحتمي بها من البرد ومن الحيوانات المفترسة. وربما كانت أغصان شوكية قليلة أو بعض الألواح الخشبية كافية لسد هذه الحظائر، مما لم يدع حاجة لتكوين نظام أبواب وأقفال معقدة. بمعنى آخر، لا يبدو مرجحاً أن قبور مدائن صالح قد أعيد استخدامها بشكل منتظم في غير إيواء قليل من الماعز أو الغنم، على خلاف البتراء التي سكن البدو العشائر من قبورها. والحقيقة أن كاسب مطلق الزارعي الذي يعيش في الحجر حالياً أصر في حديثه معنا على أن القبور لم تسكن على الإطلاق بشكل دائم، بل إنها - والعهد عليه - لم تستعمل أبداً كحظائر للغنم. قد يصح كلامه هذا على الفترات الحديثة (١٩٦٠-١٩٧٠)، إلا أنه أيضاً يمكن الافتراض بأن الحال كان كذلك أيضاً في فترات أقدم.

هناك قبر واحد أعيد استخدامه بشكل واضح هو القبر رقم (93: IGN)، حيث سُدَّ بطريقة آمنة دلت عليها آثار ملاط طيني دعم عضادات المدخل الجديد (لوحة ٧، ٧ج). كما رُكبت أسكفة حديثة تحت مجرى الأسكفة القديمة بحوالي ٢٠ سم تركت أثراً في الملاط، وتم تقليص أبعاد فتحة المزلاج، باستخدام الملاط كذلك، حيث تضاءلت من ٢٠×٧ سم، و٧ سم عمقاً، إلى ٥×٥ سم بالنسبة للمدخل الجديد.

إن مدخلي القبرين (20: IGN و 101) مثالان جيدان لأنه لم يُعد استعمالهما أبداً على الأرجح. وقد أقيما على ارتفاع عدة أمتار فوق الأرضية، حيث بلغ ارتفاع القبر (20: IGN) سبعة أمتار تقريباً، فيما بلغ ارتفاع القبر (101: IGN) حوالي ثلاثة أمتار ونصف. ويمكن الوصول إليهما اليوم عبر سلال حديدية منصوبة أمام واجهتهما. فضلاً عن ذلك، يبلغ ارتفاع مدخل القبر (20: IGN) 3,1 متر وعرضه ١,٦ متر، مشكلاً مدخلاً كبيراً يصعب إغلاقه. لذلك يبدو من غير المرجح أن يكون قد تم إغلاقه بطريقة ما يمكن معها إعادة استخدام هذه الغرفة. إن ما تحويه هذه القبور من منسوجات قديمة وعظام وأخشاب، إضافة إلى انعدام أي أثر لموقد أو دخان ليدعو إلى استبعاد إعادة استعمال هذه الغرف.

ثمة مجموعة من الآثار نستبعد عنها البداية وهي الآثار

الأخدود الذي تثبت فيه الحجارة وأثر الملاط المسك بينها توجد دائماً على حافة الواجهة الخارجية ما يُعدُّ دليلاً على تسوية مسد المدخل مع مقدمة الواجهة، التي ترتد بشكل خفيف أحياناً.

لم تسد المداخل ذات الأخدود بالطوب الحجري ذي الواجهات الناعمة وحسب بل سدت أوجهها الخارجية وكذا خلفياتها بكسر حجارة تم تثبيتها بالمونة ما جعلها تشغل حيزاً من الأخدود.

هناك عدة قبور لازالت عليها آثار مهمة تدل على طريقة الإغلاق هذه:

- لازالت الحجارة في أماكنها على امتداد المدخل: (IGN: 50, 63)، لوحة (١، ٧ ب)، ٨٦، ١١٧، لوحة (١، ٧ ج)، ١١٩، لوحة (١، ٧ د)، ١٢٣. في القبر (IGN: 133) هناك فُقط آثار دالة على نظام الإغلاق.

- بقايا ملاط بأسافل دعائم المداخل وأعلىها (IGN: 101، لوحة (٢، ١٧)).

- أخدود مضاف إلى أقصى أسفل دعائمي المدخل، ما مكن من إحكام الإغلاق:

(IGN: 4-5, 7, 12)، يمكن رؤية مجرى الأخدود في لوحة (IGN: 12) (٢، ٧ ب)؛

(IGN: 1, 26, 45) لوحة (٢، ٧ ج)، (IGN: 51, 97) لوحة (٢، ٧ د). في القبر (IGN: 97) هناك كتلة حجرية تركت داخل الغرفة الجنائزية، لوحة (٣، ١٧).

و كما سنرى فإن طريقة الإغلاق الحجرية هذه لا تتعارض مع استخدام طريقة إغلاق أخرى مؤقتة على الأرجح في القبر نفسه (١٠). و هكذا يظهر على بعض القبور أثر طرق مزدوجة، أي وجود أثر لطريقتين إحداها مؤقتة والأخرى دائمة. وهذا ما يمكن ملاحظته على القبر (IGN: 101) الذي يوجد في داخله مدخل بدعامة وحيدة مثبتة بالأرضية في الجهة اليسرى (بفتحة مزلاج على اليمين) ولها أسكفة ذات تجويفين أحدهما للإغلاق باتجاه اليسار والآخر للسحب باتجاه اليمين، لوحة (٢، ٧ ب). ويلاحظ بالقسم الأمامي للمجاز الذي شكله المدخل على بعد (٥-١٠ سم) إلى الخلف من الواجهة ملاط بالأعلى وبالسقف. ويظهر جلياً أن سمك الجدار الحجري الذي كان يغلق القبر يبلغ ١٥ سم (يشار إلى أن سداد القبر (IGN: 63)، الذي تم العثور عليه في مكانه الأصلي، له نفس السمك). كما يُشار أخيراً إلى أن ألواح بلاط عُثر عليها أيضاً في مكانها الأصلي على جانبي العتبة في بعض القبور مثل (IGN: 51)، لوحة (٣، ٧ ج).

غير الجنائزية (٢)، والقبور التي لم تتحت مداخلها أبداً (٤)، والقبور أو غرف الدفن التي اختفت مداخلها تماماً (٥) أو تضررت بفعل عوامل التعرية (٦)، ثم القبور أو غرف الدفن التي تكسرت مغالقتها بحيث لا يمكن ترميمها (٧) أو تلك التي لا أثر لأي طريقة إغلاق عليها (٨) (لوحة ١، ١٧)، بما في ذلك القبور التي يصعب القول بأنها توفرت على نظام إغلاق أو أن اختفاء مغالقتها راجع لتآكل الحجر الرملي (٩). والمحصلة ستة وستون أثراً لوحظت عليها عناصر إغلاق أكثر أو أقل اكتمالاً. لقد روجعت قاعدة البيانات بشكل تقاطعي لمعرفة ما إذا كانت القبور التي ليس لها طريقة إغلاق تنتمي إلى فئة معينة. وقد ظهر بداية أن هذه الخاصية لم تكن حكرًا على فئة قبور بعينها إذ أنها وجدت في غرف الدفن البسيطة، وكذلك في المقابر ذات الواجهات المزينة بصف واحد أو صفيين من زخرفة حلية الغراب crowsteps، أو بنصف حلية غراب، أو تلك من طراز الحجر أو بدايات الحجر proto-Hegra. وخلاف هذا نجد أنه لا يظهر على أطر أبواب الغرف الجنائزية البسيطة (بلا واجهات مزينة) دليل على طريقة سد القبور إلا القبر (IGN: 25) (إطار الباب مطوق بأخدود) والقبر (IGN: 130) (احتمال وجود أثر أسكفة بفتحتين). والجدير ذكره أن مداخل معظم المنشآت ضمن هذه المجموعة (الغرف الفارغة أو الغرف مجهولة النوع) إما اختفت أو تضررت جداً بفعل عوامل التعرية.

طريقة الإغلاق الدائمة

أبسط طريقة وأكثرها ديمومة لسد القبور تتمثل في إغلاق مدخل القبر بحجارة رملية ذات أسطح خارجية ناعمة وأخرى داخلية منحوتة بمهارة نسبياً. من وجهة نظر تقنية، هناك طريقتان رئيسيتان لإغلاق القبر وفقاً لوجود أخدود للمدخل. فإذا لم يكن هناك أخدود (كما في القبور ذات الجدران الأمامية السميكة وتلك التي يصعب الوصول إليها) كان يُغلق المدخل بصف منفرد من الحجارة السميكة (٢٥ سم) توضع على جوانبها. كما يمكن مشاهدة أخدود في بعض القبور يتراوح عمقه بين ١ و ٢ سم بالقاعدة على جانبي فتحة القبر. وهذا الصف الوحيد من الحجارة كان آمناً بالتأكيد لأن سمك الجدار الأمامي يعني إمكانية استعمال حجارة كبيرة ولأن الحجارة عموماً كانت مشدودة بالمونة مع بعضها البعض ثم مع دعائم المدخل. أما القبور التي يصعب الوصول إليها فإن استعمال هذه الطريقة يمكن تفسيره على الأرجح بكون هذه القبور أقل عرضة للنهب من غيرها. والحقيقة أن آثار

إحدهما كان إدخالها باتجاه اليمين وسحبها باتجاه اليسار، والأخرى إدخالها باتجاه اليسار وسحبها باتجاه اليمين. بشق على اليمين، وفرض على اليسار والأخرى بشق باليسار، وشق على اليمين. وأخيراً هناك القبر (IGN: 129) الذي يتوفر على أسكفة واحدة إدخالها باتجاه اليسار وسحبها باتجاه اليمين، كما يتوفر على أسكفة أخرى ذات سحبتين.

بشكل عام، لكن ليس دائماً، يحفر ما بين فتحة و أربع فتحات مزلاج في أخدود المدخل إما يساراً أو يميناً وأحياناً على الجانبين يميناً ويساراً (IGN: 33)، وهو دليل على وجود طريقة واحدة أو أكثر لسد القبور. ويفتح الباب للداخل وطريقة قفله من الداخل بحيث لا يمكن فتحه من الخارج بلا مفتاح. وتوجد هذه الفتحة أو هذه الفتحات غالباً في الجانب الأضعف من الباب، أي الطرف المسحوب من الأسكفة، لوحة (٧، ٤ج)

حين لا يكون هناك دليل واضح على وجود طريقة إغلاق جانبية، فمن المحتمل أنه كان هناك باب ذو درفتين كما في القبر (IGN: 20). في هذه الحالة الخاصة، فإن الأبعاد الكبيرة للمدخل تعضد هذه الفكرة (أنظر أعلاه).

هناك طريقة قفل أخرى تتطلب نقر فتحات على الناحية الخارجية من الأعمدة:

- (IGN: 9, 11): فتحتان على الجانب الخارجي لكل عمود، بلا فتحة مزلاج لوحة (٧، ٥ج)؛

- (IGN: 1): فتحة في الجزء العلوي بالجانب الخارجي في كل عمود؛

- (IGN: 14): فتحتان على الجانب الخارجي من العمود الأيسر؛

- (IGN: 44): زوجا فتحات على مسافات بالجانب الخارجي للعمود الأيسر (١١) لوحة (٧، ٥د)؛

- (IGN: 113): فتحة بالناحية الخارجية للعمود الأيسر؛

- (IGN: 129): فتحة في الدعامة اليمنى.

وهناك تجاويف متممة لطريقة الإغلاق: تجويف مفصلي في أعلى المدخل يقحم فيه المرقى العمودي للباب الخشبي إما على اليسار (IGN: 76, 86, 129) أو في الوسط، وذلك لإغلاق درفتي باب مكون من جناحين (IGN: 14)؛ وهناك تجويف بالعتبة ربما أنه استعمل لتثبيت دعامة خشبية لدرفة الباب (IGN: 22)، لوحة (٧، ٥ب)، IGN: 24 فتحة على اليسار). من المحتمل أن العتبة كانت مسطحة (بحيث لم تترك أثراً) أو أنها شكلت جزءاً من أخدود أفقي

وهناك مثالان يصعب تفسيرهما: في القبر (IGN ١٠٤)، يوجد أخدود بسيط بأعلى الدعامة اليسرى للمدخل من المحتمل أن قطعة خشبية كانت مثبتة فيه لدعم الطوب الحجري، التي لم يتبق منها شيء، لوحة (٧، ٣د). أما في القبر (IGN ١٢٥)، فيظهر بالجدار في جوف الغرفة ما يشبه كوة أو شق ربما أنه استخدم لتكوين عارضة خشبية كانت تمتد عبر الغرفة لتدعيم المدخل لوحة (٧، ٤أ).

أخيراً، من الواضح أن القبر (٢٠) لم يكن بالإمكان إغلاقه بالحجارة مادام قالب قاعدة الدعامات يمتد حتى قاعدة الأعمدة، لوحة (٧، ٤ب)، إذ لو وضعت الحجارة على الأساس لأضعفته كثيراً طالما أن قاعدته عرضة دائماً للضرر.

طريقة الإغلاق المؤقتة

في الوقت الذي كان يتم فيه تهيئة القبر من الداخل (الحفر وعمليات الدفن المتتالية) كانت القبور تسد بأبواب خشبية متعددة الأشكال. ومن الصعب وضع تصنيف لطريقة إغلاق المداخل يأخذ بعين الاعتبار كافة المكونات. وهذا مرده أن ما يتبقى في الأعم الأغلب هو الجزء العلوي من المدخل فيما تتآكل العتبة. ولذا قررنا إنشاء دراسة تصنيفية - في الوقت الحالي على الأقل - بناء على المواد الظاهرة بعلو المدخل، معتبرين المقومات الأخرى تنويعات تتمازج مع مادة أو أخرى من هذه المواد.

يتكون الجزء العلوي في معظم الأحوال من أسكفة تثبت كالتالي: على أحد الجانبين كان ثمة حفرة صغيرة (mortise) لتثبيت أحد طرفي الأسكفة؛ وعلى الجانب الآخر كان هناك تجويف أفقي أو فتحة لاستقبال الطرف الآخر من الأسكفة. وهذا يدل على أن آلية إدخال ثم سحب الأسكفة كانت تتم على النحو التالي:

- إدخال باتجاه اليسار وسحب باتجاه اليمين. ثمة أربعة وثلاثين مثالا على هذه الحالة (انظر على سبيل المثال الرقم ١٠١، لوحة (٧، ٣ب) والرقم ١١٤، لوحة (٧، ٤ج)؛

- إدخال باتجاه اليمين وسحب باتجاه اليسار. هناك تسعة أمثلة على هذه الحالة لوحة (٧، ٤ب).

- إدخال مزدوج باتجاه اليسار وسحب مزدوج باتجاه اليمين، ما يعني استعمال مدخل القبر مرتين متتاليتين (هناك مثالان على هذه الحالة: IGN: 26، لوحة (٧، ٤د) IGN: 86). ينطبق ذلك أيضاً على القبر (IGN: 109)، لوحة (٧، ٥أ) الذي استعملت فيه أسكفتان متتاليتان

بثلاث فتحات متتالية.

IGN: 71 بغض النظر عن الأسكفة، هناك فتحة مزلاج باليمين، وعتبة بلسان باليمين وفرض عمودي باليسار.

أسكفة بفرضين (يسار-يمين):

IGN: 13 بغض النظر عن الأسكفة، هناك فتحتا رزة مفصلية بأعلى المدخل (ليست جانبية ولا متوسطة) وفتحتا مزلاج باليمين أحدها بواجهة القاعدة اليسرى الخارجية. ووفقاً للسيد/في. برنارد أن الرزتين المفصليتين استعملتا لتثبيت الأسكفة بالسقف مادام لا توجد فتحة جانبية لتثبيتها هناك.

IGN: 95 لوحة (أ ٧، ٧): بصرف النظر عن الأسكفة، توجد فتحة رزة باليمين، وشق عتبة على اليسار. IGN: 98 هناك فروض بظاهر الباب وشق باليمين أيضاً. ووفقاً لما قاله السيد/في. برنارد أن الباب مستبدل عدة مرات.

أسكفة المدخلة:

IGN: 100 لوحة (ب ٧، ٧): بصرف النظر عن الأسكفة، توجد فتحة مزلاج باليمين، وشق عتبة باليسار.

طريقة السد بلا أسكفة أو عتبة:

IGN: 12 هناك فتحة رزة مفصلية بأعلى اليسار، وفتحة مزلاج باليمين. وبالقاعدة اليسرى خطوط الأخدود واضحة لم تنحت بعد، لوحة (ج ٧، ١٥) ودلائل بالقاعدة اليمنى على بداية نحت الأخدود، وكان المدخل في طور الإنشاء. وربما أن القبر كان مسدوداً بطريقة إغلاق مؤقتة (باب خشبي بسيط) حال دفن الجثمان إلا أنه لم يكتمل إنشاء المدخل الدائم.

أخدود مطوق بإطار باب القبر IGN: 25 أبواب بدرفتين دون أسكفة

IGN: 87 هناك ثلاث رزات مفصلية بأعلى مدخل القبر باليسار، وبالوسط، وباليمين، وكذلك فتحة مزلاج عمودية في الوسط بأعلى المدخل.

ظهر على قبور قليلة دليل على إعادة استعمالها ربما منذ وقت ليس ببعيد. وهذه حالة القبر IGN: 93 قد تغطت تقريباً قواعد الرملية بأخرى ترابية، لوحة (ج ٧، ٧)، هناك قبور كثيرة بأبوابها المتخلفة منها تلك التي لها أكثر من طريقة

بسيط، كما في القبور (IGN: 21، 26)، لوحة (أ ٧، ٦)، ٣٠، لوحة (ب ٧، ٦)، ٤٤، لوحة (د ٧، ٥)، ٨٤ و ١١٣. كذلك يمكن - كما بالنسبة للأسكفة - الإدخال لها في جانب، والسحب منها في جانب آخر. وهذه هي الطريقة المستخدمة في القبر (IGN: 11)، وهو قبر ذو عتبة الإدخال لها باتجاه اليمين والسحب منها باتجاه اليسار، كما في القبرين (IGN: 40) لوحة (ج ٧، ٦)، و (IGN: 85) حيث الإدخال إلى العتبة هو باتجاه اليمين والسحب العمودي منها باتجاه اليسار كما في القبرين (IGN: 9)، لوحة (ج ٧، ٥) و (IGN: 121) عتبة شق باليسار وفرض أفقي باليمين (غير مؤكد في IGN: 121)، ثم أخيراً (IGN: 118) له عتبة بشق على اليسار وفرض أفقي باليمين.

وتوجد أحياناً مجرد فتحة، وهو ما يدل على عدم وجود عتبة ووجود عمود رأسي مع درفة الباب. وأحياناً توجد عتبتان بقاعدة المدخل واحدة بشق وفرض، والأخرى بشقين ويمكن ملاحظة هذا في القبر (IGN: 20) حيث تكون للعتبة الأولى شق يسار، وفرض أفقي باليمين، وارتفاع العتبة عن الأرض (٤٠) سم، فيما أقحمت تماماً العتبة الثانية بأسفل مدخل القبر لوحة (ب ٧، ٤). والتعارض الواضح بين المحور العمودي للمدخل ومحور العتبة دليل على إدخال تغييرات على القبر (IGN: 2)، كما أن هناك أيضاً أدلة على أن العتبة منحوتة مرة ثانية (IGN: 9). في بعض الحالات يكون جزء فقط من العتبة ظاهراً إما باليسار أو اليمين في حين تكون بقية العتبة قد تعرضت للتآكل (معروف أن الحجارة الرملية تبدأ بالتآكل من الأسفل) وهذا صحيح في حالة القبور (IGN: 33، 129، 122، 99، 93) ذوات العتبة المشقوقة باليسار، كما في حالة القبر (IGN: 42) عتبة بفرض عمودي باليسار. وبالإضافة إلى طريقة إغلاق القبور بالحجارة والأساكف التي يتم الإدخال إليها في جانب والسحب منها في جانب، فقد لوحظت طرق أخرى للسد والإقفال موصوفة أدناه، بعضها ليس سوى طرق مختلفة قليلاً عن الطرق المذكورة سابقاً:

أسكفة بلسانين (يمين-يسار):

IGN: 17 لوحة (ب ٧، ٦) وبغض الطرف عن الأسكفة، هناك فتحة مزلاج باليمين، وعتبة مركبة، وفتحتان بالواجهة الخارجية للعمود الأيسر. هذه الفتحات قريبة جداً من فجوة الباب وبالتالي ربما كانت في مكان آخر بالباب بدلاً من الحالي الواضح بشقه المزدوج.

IGN: 18 ليس هناك ما يلفت الانتباه سوى فتحة المزلاج

المنسوجات:

يبدو أن معظم المنسوجات مصنوعة من مواد نباتية، إلا أنه يجب التأكد من ذلك عن طريق تحليل الألياف. كما يبدو أن خيوط الأنسجة لم تصبغ عدا قطعة واحدة أظهر الفحص أن مربعاتها مكونة من خيوط سداة خضراء متقاطعة مع خطوط عرضية لوحة (٧، ٧ د). وستبين التحليلات تركيبية الصيغة أو الأصباغ المستخدمة. ومن بين الأجزاء المنسوجة البالغ عددها إحدى وأربعين منسوجة، معظمها تقريباً من القماش الشفاف محكم النسج (تسع وعشرون عينة، إحداها متشابكة مع الجلد، لوحة (٧، ٨ أ)، وقليل منها منسوجات بسيطة (إحدى عشرة عينة). وبقيّة المجموعة مصنوعة من قطع حبال لوحة (٧، ٨ ب) وألياف ملفوفة حول مواد نباتية، (٩ لوحة (٧، ٨ ج).

قطع الكتان

يمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات:

- ست عشرة قطعة بلا صفات مميزة (بلا حواف أو شكل أو غرز خياطة أو خيوط)؛
- خمس لها صفات مميزة مثل العقد والشكل والدرز و الثقوب و غرز الخياطة، اللوحات (٧، ٨ د)، (٧، ٩)؛
- ثمان مطلية بطبقة مائلة للسواد أو ملتصقة ببعضها البعض بواسطة مادة سوداء، اللوحات (٧، ٩ د)، (٧، ١٠ أ).

قطع الكتان البسيطة

يوجد منها إحدى عشرة عينة وهي أجزاء من نوع (louisine) (خيوط سداة مزدوجة). احتفظ بعضها بحواشيه وبلغ عرضها ٢٠ مم. ربما كانت أوشحة استعملت للربط والحزم. اثنان منها احتوت على عقد لوحة (٧، ١٠ ب).

قطع أخرى

تتضمن قطعة حبل طولها ٦، ٣ سم، وسمكها ١ سم تقريباً، ومجموعة ألياف مضفورة حول مادة نباتية (٩). ربما أن الرابط بينها ذو أهمية. ويشتمل التحليل التقني للأنسجة على تحديد مستوى برم الخيوط المغزولة (خيوط فردية أو ثنائية) (١٢)، وكذلك عدد خيوط السداة واللحمة وهو وصف فني للنسيج (طريقة ضفر اللحمة بالسداة). بالإمكان في بعض الحالات معرفة نوع النول المستخدم في نسج الثياب، وإجراء بعض المقارنات على المستويين الكمي والكيفي. وهذه المقارنات قد تستفيد من الأبحاث الجارية حالياً في مصر

إغلاق أو إقفال منها مايلي:

- السد بالحجارة + أسكفة خشبية
- أسكفتان متتاليتان.
- فتحتا رزة متواليتان.
- زوج فتحات بالجانب الخارجي للقاعدة غير مصطفة عمودياً.
- عتبات متتالية.

الخاتمة:

في أي مرحلة كانت القبور تغلق بشكل دائم ؟ حسبما لوحظ من آثار يُظن المرء أن إغلاق القبور إما دليل على إغلاق دائم للقبور أو على فقدان الأمن (لبعد القبر عن المدينة مثلاً)، مما اضطر عائلة الميت إلى إغلاق القبر بإحكام. وكقاعدة عامة يميل المرء إلى الاعتقاد بأنه في الوقت الذي كان فيه القبر غير ممثلٍ بعدُ فإنه كان يغلق بباب خشبي وحسب طريقة إقفال لا يصعب معها فتحه. بيد أن هناك حالات نجد فيها قبورا غير مكتملة بشكل واضح (IGN : 45) قد أغلقت بحجارة، والسبب وراء ذلك يظل غير معروف.

اقتصرنّا في هذا التقرير على استعراض تقنية سد القبور وإغلاقها في الغرف الجنائزية. ولم تعين حتى الآن تقنيات سد القبور وإغلاقها في المباني الجنائزية بداخل الغرف، وغرف النفايات، وكوى المدافن، والمقابر الجماعية.

المعثورات الأثرية في المقابر:

كشفت ثلاثة قبور تذكارية في مدائن صالح (IGN : 20، 28، 87) عن عدد كبير من القطع الأثرية تم التقاطها من فوق السطح أو تحته مباشرة، في اللحد، أو مباشرة من سطح الغرف الجنائزية في المدافن. وقد تم استخراج هذه القطع وحفظها في صناديق خاصة أودعت في متحف العلا. وبالاتفاق مع وكالة الآثار السعودية أخذت عينة تضم كسرة على الأقل من كل صنف إلى فرنسا لفحصها وأسندت المهمة ابتداءً إلى السيد بي. دال برا، خبير المنسوجات والترميم، لكن سيستعان أيضاً ببعض المختصين.

هناك تسع وستون قطعة أثرية منها إحدى وأربعون قطعة نسيجية (أقمشة، حبال، ومواد لم تحدد) إضافة إلى سبع وعشرين قطعة جلدية وسلّة واحدة. والقطع جميعاً في حالة جيدة ويمكن حملها.

إحدى حفر الدفن (حفرة F٢، لوحة ٧، ١١ ب)؛ وهي حفرة طولها ٢٢ سم، وعرضها ١٥ سم، وسمكها ٢،٥ سم، إلا أنها مكسورة الجوانب، اللوحات (٧، ١١ ج، د). من الراجح أنها من سدادات كوى الدفن بالجدار الخلفي للقبر. وقد كتب سطران بأحرف نبطية باللون الأسود. ولم نتمكن من تحديد هوية المقبور في ضوء هذه الحروف الواضحة القليلة، أو حتى تحديد ما إذا كان أحد المذكورين في النقشين النبطيين المرتبطتين بالقبر (JSNab)، ١ (النقش الخارجي)، ٢ (النقش الداخلي). عُثر أيضاً على أجزاء توابيت خشبية في عدة قبور خصوصاً في القبرين (IGN: 28, 97) (اللوحة ١٧، ١٢). وهناك قطعتان تشكّلان أجزاء من الجانبين الطويل والقصير للتابوت رُكبتا معا (الوتد الرابط للقطعتين معا كان لازال في مكانه).

ملاحظات حول التاريخ النسبي للقبور:

هناك مجموعة من الملاحظات حول التاريخ النسبي لبعض القبور، وهي ملاحظات مهمة لأنها تكشف أن استيطان الكهوف الرملية قد مر بعدة مراحل، وأن القبور الحالية أعقبت قبوراً أقدم تهدمت تماماً مع مرور الزمن. وقد أعطينا تلك القبور أرقاماً خاصة لأغراض الجرد والتسجيل، وهي (IGN: 1, 26, 1, 30, 1, 55, 1, 130).

(IGN: 26, 1, 29)، اللوحان (٧، ١٢ ب، د): (IGN: 26) هو مدفن ذو واجهة مزينة بنصفي حلية خطوة غراب (half-crowsteps). شريط حلية الغراب الواقع يميناً يبدو مكتملاً إلى حد ما (الدرجات السفلى مفقودة)، أما الآخر الواقع يساراً فمبتور (درجتان مفقودتان). وبين هذه الدرجات مدخل عادي يقع تقريباً على مستوى مداخل الغرفتين المجاورتين (IGN: 25, 28). والجزء السفلي من الواجهة عادي بمدخل تعلوه جبهة مثلثة (pediment). وتقع الغرفة الجنائزية للقبر (IGN: 26) في المستوى الأدنى من الفضاء الذي يفتح عليه هذا المدخل. ولا شك إطلاقاً أن المستوى العلوي من هذا الفضاء يشكل الغرفة الجنائزية لقبر أقدم عهداً (IGN: 26, 1) مدخله كان الفتحة الموجودة بين حليتي خطوة الغراب (crowsteps). وبالتالي فإن (IGN: 26, 1) كان غرفة جنازية بسيطة تم نحتها بشكل عمودي في الصخر ثم حُفرت فيها لحود تعرضت للتدمير حينما تم نحت القبر (IGN: 26). وقد حُفر الجداران الجانبين والخلفي للقبر (IGN: 26, 1) بشكل زائد للتمكين من حفر ثلاثة لحود إضافية داخل فضاءات تشبه الخلايا. ومازال حتى

وفلسطين والعراق (١٣) حول قطع النسيج التي عُثر عليها في السنوات العشر الأخيرة.

إن تحليل الأنسجة سيمكننا من معرفة ما إذا كانت نباتية أو حيوانية، فإن كانت أليافاً حيوانية، فمن الضروري تحديد ما إذا كان مصدرها الغنم أو الماعز أو الجمال، وإن كانت نباتية فهل هي من الكتان أو القطن. كما أن تحليل الصبغ سيثبت تركيب تلك المادة الخضراء الملونة للخيوط.

وأخيراً فإن تحليل المادة السوداء المستخدمة في شد ثلاثة أجزاء من الثياب، والمغطاة لأحد الجانبين أو لكليهما معاً، وكذا تحليل خمسة أجزاء أخرى هو في غاية الأهمية لأنه سيكشف معلومات حول طرق الدفن في القبور، وخصوصاً الاستعمال الأولي للقار أو لدهانات أخرى ربما شكلت جزءاً من عملية تحنيط. وقد أرسلت العينات من مدائن صالح للتحليل في مختبر الكيمياء العضوية التابع لجامعة أفينيون للعلوم.

الجلديات:

معظمها مدبوغ، وهي تتشكل من خمس قطع مضمفورة لوحة (٧، ١٠ ج) أحدها منكمش جداً به بقايا قماش شفاف لوحة (٨، ١٧ أ) وثلاث قطع مخططة بسيور جلدية رفيعة لوحة (١٠، ٧ د)، ثمانية خيوط مضمفورة بشكل أنبوبي، إما قصداً أو بدون قصد لوحة (١١، ٧ أ)، ثم قطعتان أكثر قابلية للانشاء من البقية تركيبتهما مختلفة. وقد يساعدنا تحليل هذه العينات على معرفة الحيوانات مصدر الجلد ومعلومات عن إنتاج الجلد.

خاتمة:

إن دراسة هذه الأنسجة والأجزاء الجلدية التي عُثر عليها بمدائن صالح لتفتح المجال لأفاق بحثية غاية في الأهمية. وحسب معرفتنا فإنه أول اكتشاف من نوعه في السعودية. وعلى أي حال فإن المكتشفات النسيجية نادرة جداً في المواقع النبطية. مع ذلك يمكن الإشارة إلى المنسوجات التي تم الكشف عنها في مقبرة خربة قازون، جنوبي البحر الميت، والمؤلفة أساساً من أردية صوفية، وإن كانت ترجع في الواقع إلى القرنين الثاني والثالث (١٤).

قطع أخرى عُثر عليها في المقابر:

عُثرت إيزابيل ساشيه على بلاطة من الحجر الرملي استعملت لإغلاق كوة مدفن داخل القبر (IGN: 9) في

أخرى لها في مواضع أخرى من الموقع، أقدم تاريخاً من القبور ذات الواجهات المزخرفة والأبواب الواقعة بمستوى الأرضية. يمكن تطبيق الفرضيات ذاتها فيما يخص استيطان المنحدر الشرقي من جبل الأحمر. فقد نحتت القبور (IGN 123-126) بأعلى المنحدر، وهي تنتمي جميعاً باستثناء القبر (IGN : 123) إلى النوع نفسه من الغرف الجنائزية تماماً مثل قبور المرحلة الأولى في قصر البنت. فهل ثمة ما يدعو إلى إخراجها من مجموعة القبور العائدة للمرحلة الأولى من الاستيطان؟

الفخار

كان من أولويات المشروع منذ عام ٢٠٠٢م وضع سجل تصنيفي يمثل الإنتاج الفخاري الذي شهدته مدائن صالح. والسبب أن الفخار في مدائن صالح غير معروف بما فيه الكفاية حيث كان من الأهمية تحديد ميزاته من خلال مسح ميداني أولي قبل أي تنقيبات ممكنة. والحقيقة أنه باستثناء لوحة الرسومات التي قام بنشرها كل من بار P. Parr، هاردينج G. L. Harding (ديتون ١٦) (J. E. Dayton) عام ١٩٧٢م والصفحات المخصصة للفخار في التقارير الأولية عن التنقيبات السعودية (١٧)، لم تتطرق - حسب علمنا - أي دراسة منشورة للمادة الفخارية من هذا الموقع. والجدير ذكره أن التقارير الأولية للحفريات قدمت معلومات ضئيلة عن السياق التراتبي (stratigraphic) للكسر الفخارية.

لم يكن بالإمكان إجراء هذا المسح قبل نهاية عام ٢٠٠٤م لصعوبة إيجاد مختصين في الفخار متفرغين خلال مواسم العمل الميداني. لذلك بادرت إيزابيل ساشيه، عضو الفريق لموسم ٢٠٠٣، المسؤولة عن تسجيل جميع المدافن العامة بالموقع خلال الموسم المذكور، إلى جمع عينات فخارية محدودة في بضعة مواضع من الموقع. هذه العينات لم تحلل إنما تم تصويرها فقط. وقد أظهرت هذه المجموعة من بين أشياء أخرى دلائل على وجود فخار مستورد في الموقع، خصوصاً كسرة زبدية هلنستية تعكس المؤشرات الأولى للاستيطان في الموقع يرقى إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد على أقل تقدير. لكن بقيت الأسئلة الأساسية المرتبطة بالتسلسل الزمني لاستيطان الموقع ومواصفات المنتجات الفخارية بلا إجابة. هذه الأسئلة هي: هل يؤكد الفخار الملتقط من السطح على استيطان للموقع يرجع أساساً إلى القرن الأول للميلاد على نحو ما قد تشير النقوش المؤرخة لواجهات المقابر؟ هل كسرة الفخار الهلنستية اكتشاف معزول؟ وهل بإمكان الفخار

الآن سقف هذه الخلايا وجدرانها الخلفية واضحة للعيان، وهناك أيضاً آثار ملاط تدل على موضع بلاطات الإغلاق التي كانت تسد في الأصل حجيرات القبور.

- (IGN: 30, 1, 30) اللوحات (١٣، ٧، ب، ج): على يسار واجهة (IGN: 30) في الجزء العلوي هناك فتحة تشكل مدخل الغرفة الجنائزية التي كانت تشغل هذا المكان قبل بناء واجهة القبر (IGN: 30). أما الغرفة الجنائزية (IGN: 30.1) فقد انهدمت أثناء بناء القبر (IGN: 30) إلا أن أثر المخططات السابقة مازالت واضحة خاصة على الجدار الأيسر.

- (IGN: 1, 55, 55) اللوحات (١٣، ٧، د)، (١٤، ٧، أ، ب): في حالة (IGN: 55) من الصعب القول أي غرفة بُنيت قبل الأخرى. هناك احتمالان إما أن العمل بالقبر (IGN: 55) قد توقف جراء رداء نوعية الصخر بأسفل الواجهة، ثم تم نحت (IGN: 55.1) (تحت مستوى الغرفة الجنائزية للقبر 55) فيما بعد؛ أو أن العمل قد توقف بالقبر (IGN: 55) عند هذا الحد تماماً لوجود الغرفة الصخرية بالأسفل. ويظهر أنه لا يوجد حالياً أدلة مقنعة تدعم أيًا من هاتين الفرضيتين رغم أن الفرضية الأولى تبدو منطقياً أكثر رجحاناً.

- (IGN: 1, 130) اللوحات (١٤، ٧، ج، د)، (١٥، ١٧، أ) حيث يرجح وجود قبر أساسي له منفذ وبلا مدخل (IGN: 1, 130)، وعند نحت الغرفة (IGN: 1, 130) انهار أحد جدران اللحد المحفورة في الغرفة (IGN: 1, 130). وهذا قد يوضح سبب اتصال الغرفتين ببعضهما.

إذا نظرنا من مسافة بعيدة إلى المنحدر الغربي للمقطع الأسفل من قصر البنت، أي أماكن القبور (IGN: 25-30)، وإذا افترضنا أن القبرين (IGN: 26, 1 30, 1) أقدم من القبرين (IGN: 26 و IGN: 30) على التوالي (من المرجح أيضاً أن (IGN: 28) أقدم من (IGN: 29)، اللوحة (١٥، ٧، ب، د)، فيمكن القول بأن هذا الجزء من قصر البنت قد عرف على الأقل فترتي استخدام، لوحة (١٥، ٧، ج): المرحلة الأولى شملت قبوراً أربعة هي 1, 28, 30, 1، 25-26، 1 و IGN: 31 (١٥). خلال المرحلة الأولى تضمن هذا الجزء من قصر البنت سلسلة من الغرف الجنائزية البسيطة ميزتها الرئيسية أنها نحتت بأعلى المنحدر الصخري حيث ضمت فقط مجاثم دفن شغلت المساحة المتبقية. وقد تم توسيعها أحياناً كثيرة بإضافة خلايا تضم مجاثم دفن منحوتة في الجدران. وربما كان هذا النوع من الغرف، التي نجد أمثلة

عُثر على بعض الفخار النبطي الملون وكذا على عدد كبير من أواني الملاط والأحواض والجرار الكبيرة.

- المنطقة (A1):

تقع على بعد حوالي ١٠٠ م شمال العمود الساقط. وخصائص هذه المنطقة مشابهة لمنطقة "العمود"، وهي تحتوي على كسر فخارية أصغر حجماً.

- المنطقة المعروفة باسم "الفرن المنخفض":

تقع هذه المنطقة في الجزء الشمالي الغربي من المنطقة السكنية. وقد سجلت بهذا الاسم في المخطط المعروض ضمن تقرير موسم ٢٠٠٣ م. جُمعت في هذه المنطقة كمية كبيرة من خبث المعادن دون العثور على بقايا أفران، مميزة لصناعة فخارية، يمكن تحديدها بشكل مؤكد. وبالتالي، فهي ليست بقايا دالة على أفران فخار وإنما على نشاط حرفي آخر.

- المناطق المطابقة لمربعات الشبكة الجيوفيزيائية:

حددت البعثة جيوفيزيائياً لدارسي الفخار أربع مناطق بأعلام ملونة (أخضر، أحمر، أزرق، وأصفر). وقد ظهر سطح هذه الأماكن مُبعثراً كما يُرجح أن المياه قد جرفته مرات عدة. وأما كمية الفخار الملتقطة فقليلة نسبياً مقارنة بتلك التي تم جمعها من أماكن أخرى ضمن محيط المنطقة السكنية (شكل ٦٢، المربعات ذات الخلفية الأرجوانية بحافة مطابقة للون المنطقة).

- المنطقة الخضراء:

تتطابق هذه المنطقة مع مربعين أعطتهم البعثة جيوفيزيائياً الرقمين ٣٤ و ٣٥. وتوضح الصورة الجيوفيزيائية (١٨) بناءً متميزاً يختلف عن غيره في البلدة. أما الفخار فمتناثر كثيراً و بلا انتظام على السطح. وقد كشف المسح عن كسر كبيرة جداً لأبدان أوان فخارية وكذلك عن كسرتي رحي من البازلت وكسرة حوض من الحجر الرملي. وهناك دلائل على وجود ورشة في المربع رقم ٣٤ الذي كشف أيضاً عن مخلفات معدنية كثيرة، ومخلفات جرار ذات تركيبة خضراء. الجرار ذات التركيبة الخضراء مشوية جيداً وبطنها رمادي غامق، وهي غالباً ما توجد مرافقة للمخلفات المعدنية الخضراء، إلا أن هذا لا يدل على نشاط الفخارين إذ لا تشبه الكسر مخلفات الفرن. غالباً ما تم العثور على قطع كبيرة من خبث المعدن خضراء مزججة، مشابهة لما عُثر عليه في منطقة "الفرن الواطئ"، ملتصقة بالفضلات المعدنية. ويحتمل أن تكون الجرار قد استعملت كأوعية ضمن نشاط حرفي غير

الملتقط من السطح وتحليله إعطاءنا فكرة عن المدة الزمنية لاستيطان الموقع؟ لذلك كان من الضروري القيام بجمع وتحليل أكثر تنظيماً للكسر الفخارية. هذا العمل قامت به في كانون الأول ٢٠٠٤ م كل من إيفون جريبر و إيزابيل ساشيه واستمر عشرة أيام تقريباً، حيث ساعدهما في ذلك في. برنار الذي قام برسم ٢٦٥ كسرة فخارية. وقد أنشئت في الموقع قاعدة بيانات باستخدام برنامج (Filemaker) ضمت ١١٧٢ كسرة فخارية، كل كسرة تم وصفها بشكل مفصل، كما تم تصوير ١٣٢ كسرة. إن قاعدة البيانات هذه ستمكننا لأول مرة من تقديم فخار مدائن صالح بطريقة أكثر شمولية، بناءً على عينة ممثلة للموقع ككل.

اختيرت الأماكن المراد مسحها وفقاً لمعايير عديدة، لوحة (١٦، ١٧) منها: أن تكون ممثلة لمختلف آثار الموقع (المنطقة السكنية، والمقابر، والمعابد، والآبار)، أن يكون مصدرها أماكن مختلفة من الموقع، وأن تكون العينة الفخارية ذات أهمية كمياً وكيفياً. غير أن المنطقة السكنية تمثل المنطقة الأهم لأنها جادت بكميات كبيرة من الفخار. علاوة على ذلك فإن الالتقاط الفخاري في هذه المنطقة استند إلى نتائج الكشف الجيو- فيزيائي، وهو ربما كمل في المقابل هذه النتائج.

قمنا مباشرة بعد تحديد منطقة المسح على امتداد أشرطة منتظمة بجمع كل الأنماط الفخارية المرئية (حواف وأبدان الأواني ذات العجينة الناعمة أو الخشنة) فضلاً عن القطع المعدنية والحجرية والصدفيات، إلخ. كما جرى المسح بشكل أكثر انتظاماً ضمن مربعات المسح الجيو- فيزيائي الذي غطى المنطقة السكنية، حيث تم جمع وإحصاء جميع الكسر الفخارية وذلك لإحراز بيانات إحصائية.

مناطق المسح المختلفة

المنطقة السكنية

تزرع المنطقة السكنية في الموقع بالقطع الفخارية المتناثرة على سطح الأرض. وقد اختيرت عدة أماكن لوحة (١٦، ٧ ب)، اللون الأرجواني:

- المنطقة المعروفة باسم منطقة "العمود": اكتشفت عام ٢٠٠٢ م وتبلغ مساحة نصف قطرها ٥٠ م تقريباً محيطة بعمود ساقط بوسط الجزء الغربي للمنطقة السكنية، وتتميز بتلال صغيرة غنية جداً بالفخاريات التي تبدو أقل تكسراً في قمة التلال مقارنة مع وضعها في المناطق المحيطة، حيث تبدو الكسر الفخارية قابلة أحياناً للتجميع. ولا تحتوي هذه المنطقة على مخلفات معادن. أما الفخاريات فمتنوعة، وقد

فخار منطقة "العمود" للوهلة الأولى أنه لم يتعرض للتشيت، إلا أنه قد تعرض على الأرجح لذلك دون أن نستطيع معرفة درجة البعثرة هذه. في مواضع أخرى، تحديداً في مربعات المسح الجيوفيزيائي، من الواضح أن تربة السطح والكسر التي تحتويها قد جاءت من مكان آخر. وتبقى مسألة مدى قوة التشويش وإمكانية انجراف الكسر مسألة مفتوحة للنقاش.

الآبار والمناطق المجاورة لها:

نظرا لكون الآبار عنصراً أساسياً ضمن الطبيعة القديمة للموقع، كان من المهم جمع بعض العينات الفخارية من هذه الآبار آخذين بعين الاعتبار أن الكسر الفخارية قد تكون من الحطام الناتج عن حفر الآبار أو من المناطق المحيطة بها.

- البئر ١٥: فخار قليل جداً حول البئر وكسر كبيرة جداً في الحطام.

-البئر ٢١:كسر كبيرة في الحطام وبعض الكسر بما فيها كسر من الفخار الناعم وجدت ضمن المواد المستخدمة في إنشاء قناة حديثة.

-البئر ٤٦: غطى المسح مساحة نصف قطرها ١٠٠م حول البئر، وقد غطتها النباتات والفخار فيها قليل جداً والكسر متناثرة وقليلة.

-البئر ٢٥: عُثر في الأرض المستوية حول هذه البئر على كمية كبيرة من الفخار، وكانت قطع الفخار متكسرة جداً. كما أن هناك كمية كبيرة جداً من الفخار الناعم المستورد. وحواف أواني الفخار الخشن صغيرة ومتاكلة.

-البئر ٣٤: كشفت هذه البقعة عن كسر فخارية متكسرة. كما لوحظ وجود قليل من قبور البدو غرب البئر.

-البئر ٦٢ و ٨٠: الأرض بين البئرين مستوية ومغطاة بكسر فخارية. وعلى العكس من ذلك فإن الفخار الموجود في رديم البئر هو أقل تكسراً. وربما أن الكسر الفخارية التي عُثر عليها في المنطقة المستوية قد تعرضت للبعثرة بفعل السيول.

مسح المنطقة الواقعة شرقي القبر (IGN: 55) وشرقي البئر ٣٣:

مسحت منطقة مستطيلة مساحتها (١٠٠ ٥٠ x م) تقع على بعد حوالي عشرين متراً شرق البئر ٣٣ والقبر (IGN: 55). وقد تم أخذ عدة عينات: الأولى على امتداد محور شمال-جنوب في الطرف الغربي لهذه المنطقة للمستطيل، تلتها مجموعة عينات على امتداد محور شمال-جنوب في اتجاه شرقي. أما ما تبقى من المنطقة فكان أقل غنى من

محدد حتى الآن (صناعة الزجاج، شغل المعدن ٥).

- المنطقة الحمراء:

تتطابق هذه المنطقة مع المربعات الستة حيث كشف المسح الجيوفيزيائي عن تجمع سكني مكون من عدد كبير من الوحدات الصغيرة، حيث كانت كسر الفخار متناثرة في المنطقة كلها. فكانت القطع الفخارية كثيرة فوق أكوام من الحجارة الصغيرة. كما كانت كثافة الكسر الفخارية في المربعين رقم ١٩ و ٤٦ أكثر من أي مكان آخر. وقد عُثر في هذه المربعات على ثلاث طواحين بازلتية وحوضين من الحجر الرملي.

- المنطقة الزرقاء:

تضم هذه المنطقة المربع رقم ٢٨ الذي تم توسيعه قليلاً، حيث كشف المسح الجيوفيزيائي عن وجود بناء في هذا المربع يبلغ أكثر من ٢٠ متراً على كل جانب. وقد شيد هذا البناء من مواد مختلفة عن المواد المستخدمة في أبنية المنطقة الخضراء. والفخار في هذه المنطقة غير وافر بل متناثر هنا وهناك. إن الكسر المعثور عليها هي في معظمها كسر من أبدان الأواني، غالباً ما كانت كسراً كبيرة الحجم. وتتجاوز الفخاريات الخشنة نظيرتها الناعمة من حيث العدد. كذلك كشفت هذه المنطقة عن كسرتي رحي من البازلت فضلاً عن كسرة حوض من الحجر الرملي الأبيض.

- المنطقة الصفراء:

تقع هذه المنطقة - وفقاً لنتائج المسح الجيوفيزيائي - في ملتقى عدة طرق، وهي فقيرة جداً من حيث البقايا الفخارية. وقد عُثر بداخل المربع شرق المنطقة الصفراء على أكبر كمية فخار بما في ذلك الفضلات المعدنية من الجرار ذات التركيبية الخضراء، كما عُثر على أكوام من المخلفات المعدنية في عدة أماكن واقعة شمال المنطقة السكنية. والفخار ليس وافراً كما في الحد الغربي كما تقل كثيراً الفخاريات الناعمة. ومن المحتمل أنها منطقة صناعية حيث كشف المسح الجيوفيزيائي عن طبقة سفلية تدل على استيطان كثيف مع شبكة معقدة من الأبنية والطرق المتقاطعة.

عموماً، ليست هناك صلة مباشرة بين المواد الملتقطة من السطح وما كشفه المسح الجيوفيزيائي في البلدة. إذ ربما أن الفخار والقطع الأخرى قد تعرضت للجرف بسبب المياه وعوامل طبيعية أخرى تركت أثراً واضحاً على السطح. يبدو

حيث أن المعطيات الفخارية.

خاتمة:

تضمن رديم البئر بشكل أساسي كسراً من الفخار الشائع، وهي كسر أكبر حجماً من تلك التي عُثر عليها في المناطق المستوية، كما عُثر على كمية قليلة من الفخار الناعم. ومصدر هذه الكسر أوان استخدمت في أنشطة حصلت حول الآبار، تضاف إليها الأوعية المصنوعة من جلود الحيوانات والتي لم يتبق منها أي أثر. والكسر الفخارية الموجودة حول الآبار هي أكثر تكسراً بفعل السيول على الأرجح، كما أن أنواع الفخار المستعمل في التخزين إلى عينات أوان ناعمة. ويدل هذا التنوع عموماً على وجود استيطان. وقد عُثر كذلك في عدة أماكن على حجارة مقطوعة من الحجر الرملي الأبيض مشابهة لتلك التي عُثر عليها بالمنطقة السكنية.

المناطق الجنائزية:

قصر البنت:

بدأ جمع العينات من القبر (IGN: 17) شمال الموقع واستمر تدريجياً ناحية الجنوب. وقد عزلت معثورات القبور عما تم العثور عليه خارجها. ولعله لا يمكن استخدام الكسر القليلة جداً والمنكسرة بشكل كبير التي تم العثور عليها كدليل على فترة استيطان في قصر البنت، أهم مقبرة جماعية بالموقع، حيث لا بد أن تكون قد استعملت كمية كبيرة من الفخار في إحياء الطقوس الجنائزية.

القبر (IGN: 63) يوجد في منطقة جبل الخريجات. بينما كان ف. برنار يعاين نظام إغلاق مداخل القبور اكتشف عدة كسر أسفل الباب من الخارج من ضمنها كسر فخار مستورد من البتراء، خصوصاً حافة إبريق صغير (الكسرة رقم ٦٦٠، لوحة (١٧،٧) أ) تعود إلى مرحلة (Schmid) (٢٠) (١٩) (3a-3٠ ب.م. إلى ٧٠-٨٠ ب.م.). القبر (IGN: 133) : يقع بين الخريجات ومدافن جبل المحجر، وقد نحت في تل صغير من الحجر الرملي. وعُثر في الركام الواقع على بعد أمتار قليلة أمام القبر - وهو ركام ناتج ربما عن عملية تنظيف القبر التي قامت بها وكالة الآثار - على كمية كبيرة من الفخار العادي والناعم والمستورد.

كذلك تم القيام بمسح منطقة منبسطة أخرى تقع جنوب التل الذي نحت فيه القبر (IGN: 133). إن التكسر الشديد الذي يميز الكسر الفخارية في هذه المنطقة يشبه ذلك الذي تمت ملاحظته في المناطق المستوية المحيطة بالآبار.

جبل إثل:

الغرفة (٢٠) (Ith: 40) عُثر في وسط الركام بالأسفل من الغرفة (Ith: 40) على كسر أواني فخارية عادية وناعمة. وهناك العديد من الكسر المترامية تعود للجرار نفسها.

(Ith: 46) تم التقاط بضع كسر فخارية، بعضها يعود للجرار نفسها. من الممر المحيط بالمنصة أو الموثاب (ما لم يكن مذبحاً) الواقع على الجانب الأيمن من مجموعة المشاكي الصغيرة هذه.

(Ith: 54) هذه قاعة مناسبات مكشوفة مليئة بالركام تماماً، وهي على صلة بثلاث مشاكي نثرية هي (Ith: 51-53)، وكذلك بالعديد من النقوش. ولم يعثر إلا على القليل من الكسر الفخارية في الرمل الذي يتشكل منه الردم الذي يملأ الغرفة (Ith: 54). كانت هناك محاولات حفر بسيطة باستخدام المجرود إلا أن سمك الرواسب الطينية والصخرية يفوق ٥٠ سم. فلم يتم التقاط سوى القليل من الكسر. والحقيقة أن قلة الكسر على السطح تشبه قلتها في الردم.

(Ith: 23-24) الأرضية المقابلة للمشكاتين (Ith: 23-24) مغطاة بالرمل، وقد التقطت من السطح كسر قليلة، بعضها كان مستهلكاً. لقد كشف عن فخار قليل بداخل جبل إثل. ولعل أكبر كمية من الكسر الفخارية قد تم العثور عليها في رديم الغرفة (Ith: 40). وقد تضمنت القليل جداً من الفخاريات المستوردة من البتراء، بعضها كسر مدهونة تعود إلى المرحلة (٥٠) (Shmid 2a - ٢٥ قبل الميلاد). إن الكسر الفخارية التي تم التقاطها في جبل إثل تعكس من حيث أشكالها وطريقة صنعها فترة الاستيطان النبطي - الروماني في الموقع.

مناطق أخرى:

(J9) لوحة (١٦،٧) أ) لمعرفة الموقع: هو عبارة عن حوض مقطوع في الصخر، قطره ١،٤٥ م، وعمقه ١ م، احتوى كثيراً من الفخار. لم يتبق من الحوض سوى نصفه، في حين تعرض النصف الآخر للتآكل مع قمة التل. ومن الفخاريات الملتقطة ثمة كسرة أعيد استخدامها كوزنة. بالإضافة إلى ذلك هناك عدة كسر من الفخار النبطي المستورد من البتراء يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد (رقمي ٦٧٥-٦٧٦)، لوحة (١٩،٧) أ). والفخاريات الخشنة التي تم العثور عليها في السياق نفسه تؤكد هذا التاريخ وتزيده امتداداً حتى القرن الأول بعد الميلاد.

البئر رقم ١٧ : جمعت كسر فخارية قليلة منكسرة جداً من المقطع الذي قام بمسحه جان - باتيست ريغو. لم يكن بالإمكان تأريخ الكسر، لكنها تبدو في معظمها مشابهة لتلك التي تقع عُثر عليها ضمن سياقات نبطية - رومانية.

استنتاجات:

ليس بالإمكان وضع تسلسل زمني انطلاقاً من المسح السطحي. لكن يبدو أن الفخار الملتقط متجانس مع ما هو معروف من فترة الاستيطان النبطية - الرومانية في

الأخير من القرن الأول للميلاد). هناك ما يقارب ١٠٤ حافة مطلية وحوالي ٢٢ كسرة من أبدان أوان فخارية لوحة (٧،١٩ أ) من المرحلتين الأولى والثانية، وحافتان، إضافة إلى ٦٧ كسرة من أبدان أوان لوحة (٧،١٩ ب) من المرحلة (3b). وقد عُثر على كسر قليلة جداً تنتمي إلى فترة (Schmid 3c) (بداية القرن الثاني للميلاد)، إذ اقتصر الأمر على حافة وخمس كسر أبدان. وهذا شيء مفاجئ إلى حد كبير خاصة أن مرحلة (Schmid 3c) نجدها ممثلة بشكل جيد في البتراء ونواحيها. ولا بد أن هناك سبباً خاصاً وراء ذلك. أخيراً نشير إلى كسر قليلة من المرحلتين (3C-4) (ثلاثة حواف وكسرتان من أبدان أواني).

تشكل الأواني النبطية الناعمة مؤشراً زمنياً جيداً حتى بداية القرن الثاني للميلاد، وبعد هذه الفترة توقف إنتاج هذه الأواني وأصبح من الصعب تأريخ الفخاريات الناعمة، كما أن الإطارات التأريخية باتت أقل دقة. لم يُعثر في مدائن صالح على كسر لأواني نبطية ناعمة تعود للنصف الأول من القرن الثاني للميلاد، وهذا ينطبق بشكل خاص على الفخاريات المدهونة العائدة إلى نهاية الفترة الرومانية وبداية الفترة البيزنطية. كما أن الفخاريات الشائعة المستوردة من البتراء والتي يمكن استعمالها كمصدر تأريخ، من القرن الثاني بعد الميلاد فصاعداً، هي غائبة تماماً في مدائن صالح.

وخلافاً للأواني الناعمة التي تم استيرادها، هناك دلائل في مدائن صالح على إنتاج أوان محلية من الفخار الشائع، مع استيراد للقليل من الأواني العادية الخشنة من البتراء إلى مدائن صالح (حوالي ١٦ حافة، ١٢ كسرة من أبدان أوان ومقبضي). ولعل واحداً من أحسن الأمثلة على الأواني الشائعة المستوردة لم تكن مسوحتنا مصدره، بل هو معروض في متحف تيماء (العلا). يتعلق الأمر بجرة تعود إلى الفترة الممتدة بين الربع الأخير من القرن الأول ق.م. وبداية القرن الثاني ب.م، لوحة (٧،١٩ ج). وقد عُثر على سراج نبطي واحد في المنطقة السكنية خلال مسوحات موسم عام ٢٠٠٤م، وهو من الطراز المعروف باسم طراز النقب (٢٢) (Negev type Ia). ويعود تاريخ هذا السراج المصنوع في البتراء إلى القرن الأول ب.م. (رقم ١١٥٤، لوحة (٧،١٩ د)).

يمكن التفريق بسهولة بين الفخاريات المحلية وفخاريات البتراء سواء من حيث طريقة صنعها أو من حيث أشكالها، وهي لا تحاكي إطلاقاً الجرار المعروفة في العاصمة النبطية، على خلاف ما لوحظ في مواقع شمالية مثل العقبة (٢٣). وتختلف الفخاريات المحلية كثيراً من حيث الأشكال عن مواقع جنوب الأردن أو فلسطين، وهي محدودة جداً؛ فليس ثمة أطباق ولا

الموقع. وهناك كسر قليلة تم التقاطها في المنطقة السكنية ربما تكون بيزنطية (القرن الرابع-السادس ب.م). لوحة (٧،١٧ ب)، فيما يعود تاريخ قطع قليلة معزولة إلى العصر الإسلامي (الرقمان ١٣٧، ١٣٥، اللوحتان (٧،١٧ ج، د). أما بقية المعثورات خصوصاً الملتقطة من حول الأبار ففخارها متجانس ويدل على فترة استيطان مكثفة في الموقع خلال الفترة النبطية – الرومانية.

اكتُشفت كسر فخارية هلنستية يعود تاريخها إلى فترة لا تتعدى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد في بقاع مختلفة من الموقع (رقم ٢٧١)، لوحة (٧،١٨ أ). وبناءً عليه فأن كسرة الزبدية اليونانية المستوردة التي تمت دراستها في تقرير موسم عام ٢٠٠٣م (رقم ١٧)، لوحة (٧،١٨ ب) ليست كسرة معزولة، وهو ما يدل على أن مدائن صالح عرفت أنشطة اقتضت استيراد فخار يوناني. ولا تدل الفخاريات المفحوصة على استيطان أقدم عهداً.

عُثر في مدائن صالح على أعداد كبيرة من فخار البتراء يعود للقرنين الأول ق.م، والأول للميلاد، وسنتطرق إليه بشيء من التفصيل بالفقرة التالية. وقد تم كذلك التقاط كسر قليلة من الفخار المصقول الناعم الشرقي (eastern sigillata) لوحة (٧،١٨ ج)، الشائع خلال هذه الفترة، فضلاً عن كسر من الفخار المزجج البارثي. ومن ضمن المستوردات أيضاً بعض الكسر النادرة من الفخار المصقول الأحمر الأفريقي (African red sigillata)، العائدة للفترة الرومانية المتأخرة/البيزنطية، وبمعزل عن الفخار، التقط من الموقع العديد من القطع الحجرية (حجر صابوني، مرمل، رخام) والصدفيات والبرونزيات، فضلاً عن كمية كبيرة من قشور بيض النعام، كما التقطت عدة كسر من الجرار المرمرية، لوحة (٧،١٨ د) المستوردة على الأرجح من اليمن (٢١).

يكاد يكون في حكم المؤكد أن جميع الفخار الناعم المطلي وغير المطلي كان يصنع في البتراء ويجلب إلى مدائن صالح، فليس هناك أي أثر يدل على إنتاج محلي للأواني الناعمة ما عدا زبدية عادية صغيرة سمكها رفيع (الرقمان ٨٣٤ و ٨٤٥)، يصعب تمييزها عن غطاء صغير، وتمثل تقليداً خشناً للزبديات النبطية غير المطلية التي ميزت المرحلة الثانية لـ شميد (حوالي ٥٠ ق.م – ٢٠ ب.م). وقد عُثر على هذا النوع من الزبديات فقط داخل جبل إثل، وهكذا ربما تكون هذه الزبديات قد استعملت في سياق ديني مرتبط بخدمة المعابد.

يتكون الفخار الناعم المستورد من البتراء أساساً من كسر يعود تاريخها إلى مرحلتي (Schmid 2-2a) (القرن الأول قبل الميلاد) حتى المرحلة (3b) (الربع

المصور على هذه القطعة مكتملاً: الحروف التي تم تبينها على الصورة قبل تنظيفها مقدمة أدناه بحروف رومانية كبيرة، أما الأحرف التي تم تبينها بعد التنظيف فمكتوبة بأحرف مائلة.

وجه العملة:

IMP CAES NERVAE TRAIANO AVG
GER DACP MTRP COS V (VI) PP
تمثل نصفي عار لـ تراجان ينظر لليمين متوجاً بأكليل الغار (قطعة رداء تغطي كتفه الأيسر ؟).

ظهر العملة:

(S.P.Q.OPTIMO PRINCIPI) نقش في أسفلها بشكل بارز عبارة (ARAB. ADQVIS). ونقش بوسطها (S-C) ثم امرأة واقفة ترمز للولاية العربية تنظر للإمام ورأسها باتجاه اليسار وتضم على كتفها الأيسر حزمة قصب وتحمل غصناً مورقاً بيدها، ويظهر عند قدميها باتجاه اليسار جمل صغير وحيد السنام.

تعليق:

ينتمي هذا الـ سيسترس إلى مجموعة معروفة من الدنانير الذهبية والفضية (denarii) والدرهم البرونزية (sesterces, dupondii, asses) وهي مجموعة ضربت في روما لتخليد انتصارات تراجان وإنشاء ولايات جديدة. وتجسد العملات التي تظهر على ظهورها امرأة واقفة إنشاء ولاية جديدة هي الولاية العربية. وتبدو المرأة مرتدية فستاناً طويلاً ولفاعاً أحد أجزائه متدلي على اليمين، كما تحمل أشياء مميزة لها: حزمة قصب معطر (calami odorati) أو قرفة وغصناً مورقاً قد يرمز، بدلاً من السلام، إلى غصن شجرة بخور. فقد اشتهرت الجزيرة العربية بنباتاتها العطرية. والولاية العربية يميزها أيضاً جمل وحيد السنام مصور عند قدميها (عملات أخرى عليها صور نعام). ويُعدُّ غالباً ظهر العملة هذا نموذجاً عن عملات لا تقل شهرة هي العملات الفضية "العربية" المزدانة بصورة تراجان وأساطير يونانية، العديد منها يجسد الصورة نفسها بصفات مماثلة. لقد تم إصدار هذه العملات، مثل تلك التي تتضمن نقوشاً يونانية، خلال الولايتين القنصليتين الخامسة والسادسة لـ تراجان، أي من ١٠٣ إلى ١١١ ب.م. ومن ١١٢ إلى ١١٧ ب.م. على التوالي. وبظل تاريخ أول إصدار أثناء الولاية القنصلية الخامسة محل نقاش، ففي حين يؤرخه بعضهم إلى ١٠٦-١٠٨، نجد البعض يرجعه إلى ١١١-١١٢، أي سنين عدة بعد ضم المملكة النبطية. والجدير ذكره أن الولاية العربية لا بد وأن تكون قد وصفت على ظهر هذه العملة بـ "المكتسبة" وليس "المحتلة" على خلاف داسيا Dacia وبارثيا Parthia، وهو نقش خاص عادة ما استخدم دليلاً على أن ضم المملكة النبطية قد حصل دون حملة عسكرية.

زبديات، في حين تكثر قدور الطبخ، لوحة (٢٠ ، ٧ أ). وجرار التخزين ، لوحة (٢٠ ، ٧ ب). أما الأباريق والقناني فنادرة، لوحة (٢٠ ، ٧ ج) والزبديات الحجرية الرمادية الناعمة، التي غالباً ما تسمى خطأً بالحجر الصابوني هي على الأرجح من صنع محلي، وقد عُثر على الكثير منها في تنقيبات وسط البلدة (٢٤).

خلال المسوحات التي أجريت حول الآبار حصل لنا انطباع بأن الفخاريات التي عُثر عليها في المناطق المستوية المحيطة بالآبار متجانسة تماماً. فكل الفخار المؤرخ هو سابق للقرن الثاني للميلاد ولا أثر لفخار أحدث، أي لفخار عائد للفترتين الرومانية المتأخرة أو البيزنطية. وإذا كان هذا الانطباع قد تأكد، فإن الفخاريات النبطية الناعمة والفخاريات المصقولة المدموغة (sigillata) المستوردة التي عُثر عليها في المناطق نفسها يمكن اتخاذها مرجعاً لتأريخ الأشكال المحلية التي صاحبته. هذا الجزء من الدراسة سوف يتم إنجازه ضمن مقاربة مختلفة عما في هذا التقرير وسيأخذ بعين الاعتبار العملات المكتشفة في هذه المناطق والتي لم تنظف بعد. من الصعب وضع تسلسل زمني للفخاريات بعد القرن الثاني للميلاد. ذلك أن الواردات من الفخاريات الصقلية (sigillata) العائدة للفترة الرومانية المتأخرة والبيزنطية نادرة في مدائن صالح. ويبدو أن فخاريات هذه الفترة مقتصرة على المنطقة السكنية. وستعطي بلا شك دراسة العملة مزيداً من المعلومات عن هذه المسألة.

تقدم مختلف الأصناف الفخارية الملتقطة في المنطقة السكنية والمناطق المنبسطة المحيطة بالآبار صورة جيدة عن جميع أنواع الفخاريات الموجودة، الناعمة والخشنة بما فيها من أواني طبخ وجرار تخزين ومهاوي وأحواض ... الخ. إن تنوعاً من هذا القبيل ليعكس في العادة مناطق سكنية. ولعله من الواضح تماماً أن المنطقة السكنية كانت عامرة بشكل كثيف، ومن المرجح أن تكون المناطق المحيطة بالآبار فقد عرفت مساكن متناثرة كما أثبت ذلك جان - باتيست ريغو. وتؤكد المستوردات دور مدائن صالح كمحطة للقوافل بين البتراء وجنوب الجزيرة العربية.

اللقى الصغيرة والعملات:

عُثر على عملة مميزة، مغايرة للعملات النبطية التي يميزها قطر صغير، بكميات كبيرة من قبل جان - باتيست ريغو قرب البئر رقم ٨٦ الواقعة بالطرف الجنوبي لكل الآبار المسوحة في الموقع. وقد فحص كرستيان أوجيه صورة لهذه العملة قصد التحليل الأولي، كما التقطت إيزابيل ساشيه دمغة صغيرة، نقدمها أدناه، في المنطقة السكنية.

العملة من البئر رقم ٨٦ لوحة (٢٠ ، ٧ د):

عملة سيسترس (Sesterce) مضروبة في روما بين ١٠٦ و ١١٧ للميلاد، قطرها ٣٢ ملم. ويبدو الشكل

خاتمة:

تمكنا بين عامي ٢٠٠١م و ٢٠٠٤م، ضمن المشروع الأثري لمدائن صالح، من تحديد موقع مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: منطقة سكنية، مقابر ومعابد تنضاف إليها واحة في غاية الأهمية. من المرجح أن الحجر كانت حداً متقدماً أو مركزاً عسكرياً إلا أنها كانت بلدة صغيرة كذلك سيطرت على مناطق زراعية واسعة جداً يمكن قياسها. فمن ناحية زمنية كشف المشروع دليلاً على استيطان مبكر منذ القرن الثاني قبل الميلاد، فضلاً عن مراحل مختلفة من الاستيطان كما هو متوقع. ينطبق ذلك على قصر البنات حيث مرحلة الاستيطان الأولى التي تميزت بغرف جنازية حفرت في الصخر بشكل عمودي قد تلتها مقابر ذات واجهات استمرت في أداء وظيفتها الجنائزية حتى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. وقد اتضح وجود مراحل مختلفة أيضاً على الصورة الجيوفيزيائية التي كشفت عن مجموعة مبان تتقاطع ببعضها البعض في اتجاهات مختلفة. لم يعد هناك مجال للشك في أن الموقع قد ضم إلى الولاية العربية الرومانية، كما أن بعض الخصائص المرتبطة بالوجود الروماني سيتم توضيحها أكثر في ضوء النقش اللاتيني الذي اكتشفه ضيف الله الطلحي. والحقيقة أنه قد عُثر على عدة نقوش يونانية، بعضها لم ينشر، تركها جنود رومان خدموا في الحجر. وسيقدم اكتشاف مصنوعات داخل القبور وتحليل الطلاء الموجود على بعضها معلومات جديدة حول العمليات ذات العلاقة بعادات الدفن النبطية. أخيراً، كشف دارسو الفخار عن وجود فخاريات محلية تختلف أشكالها عن تلك المميزة لفخار البتراء، أما الفخاريات الناعمة فواضح أنها كانت مستوردة. كذلك أثبتت قطع أخرى مستوردة وجود تبادل بين الحجر واليمن.

وإلى هذه المعلومات المحصلة خلال عدة مواسم من العمل الميداني لا بد من إضافة أشياء أخرى كثيرة مثل الزخرفة المعمارية المميزة، وطرق النحت على الواجهات الصخرية، ثم تقنيات قلع الكتل الحجرية من المحاجر بالموقع وتنظيم المعابد ... الخ. وعلاوة على ذلك، فإن عمل كل عضو في الفريق سيعطي، حالما ينتهي، نظرة جديدة تماماً عن الموقع. وسيكون من المهم وضع الموقع ضمن منظور محلي. وأفضل حل لتحقيق ذلك ربما كان المساهمة بطريقة أو بأخرى في رسم خريطة أثرية لشمال غربي المملكة، من مدائن صالح حتى العقبة. ويمكن وضع الخبرة الفرنسية في تصميم خرائط أثرية تحت تصرف السلطات السعودية العاكفة حالياً على تحقيق مشاريع رئيسية في هذا الحقل.

تختلف قليلاً أنواع العملات والكتابات من إصدار لآخر. ومن الصعب البت فيما إذا كانت هذه القطعة النقدية ترجع إلى الولاية القنصلية الخامسة أو السادسة (تصعب قراءة نهاية النقش على وجه العملة من خلال الصورة)، وتوخياً للدقة إلى أن ما يرد ليس الصيغة القصيرة (ARAB. ADQ) بل الصيغة (ARABADQVIS) أو (ADQVISIST) غير أن الأخيرة لم ترد سوى على الإصدار من فئة الـ ديبوندي (dupondii). وتظهر هذه الاختلافات على عملات الولايتين القنصليتين الخامسة والسادسة، كالفروقات بين الفواصل، وعلى الظهر، الفروقات في الصورة النصفية للإمبراطور حيث يبدو مرتدياً أحياناً لباساً أو حاملاً ترساً. من المهم التأكيد بأن العثور على عملة من هذا النوع في سياق أثري داخل ولاية عربية، وخصوصاً في منطقة تقع ضمن التخوم الجنوبية للمملكة النبطية هو أمر في غاية الأهمية. إن ثمة أمثلة قليلة جداً على هذا النوع من العملات البرونزية في بلاد الشام. أما العملات من نوع الديناري فكانت، مثلها مثل العملات من نوع العملات الفضية ذات النقوش اليونانية، أكثر شيوعاً في الشرق الأدنى، خصوصاً جنوبي بلاد الشام، وأن المرء ليتعجب عمّن جلب هذه العملة من فئة الـ سيسترس لمدائن صالح: جندي أم تاجر؟ (٢٥).

فص خاتم لوحة (٧، ٢٠ هـ):

يتعلق الأمر بفص مستدير من العقيق الأحمر، يبلغ قطره ٦-٨ ملم، عليه نقش غائر يمثل رأساً أمرداً أو قناعاً، باتجاه اليسار، بلا رقبة على ما يبدو. والشخص المصور ذو أنف كبير وعينه المصورة بشكل جانبي غائرة جداً ومفتوحة بشكل واسع أما شفتاه فمفتحتان قليلاً وشعره المصور على شكل صفوف متوازية ينسدل حول الرأس مشكلاً ضفيرة كبيرة. من المرجح أن هذا الفص الصغير كان مثبتاً في خاتم كما يوحي شكله وكذلك الخدش الموجود عليه بفعل أحد مقابض التثبيت. ورغم صغر الحجم المتاح، حوالي ٤ ملم من حيث الارتفاع، إلا أن النقش يبدو غائراً جداً ومنفذاً بمهارة.

ماذا يمثل هذا الرأس الشاب؟ يبدو أنه مستوحى من قناع مسرحي، وهو زينة أصلها يوناني كانت منتشرة في حوض البحر المتوسط ومشهورة جداً في المشرق من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي. وتلاحظ غالباً ضفيرة الشعر على الحجارة الشرقية المنقوشة تماماً مثل العين الواسعة والغائرة المميزة للبورترهيات اليونانية، تحديداً البطلمية، وهي ملامح غالباً ماتميز صور ملوك الأنباط على عملاتهم، يضاف إليها الأنف الكبير جداً المشابه لأنف هذا الرأس ولكن بتسريحة شعر مختلفة (٢٦).



ب - سداة حجرية في مكانها وأخرى منهارة
b. stone block in place and collapsed block



د - سداة حجرية في مكانها
d. stone block in place



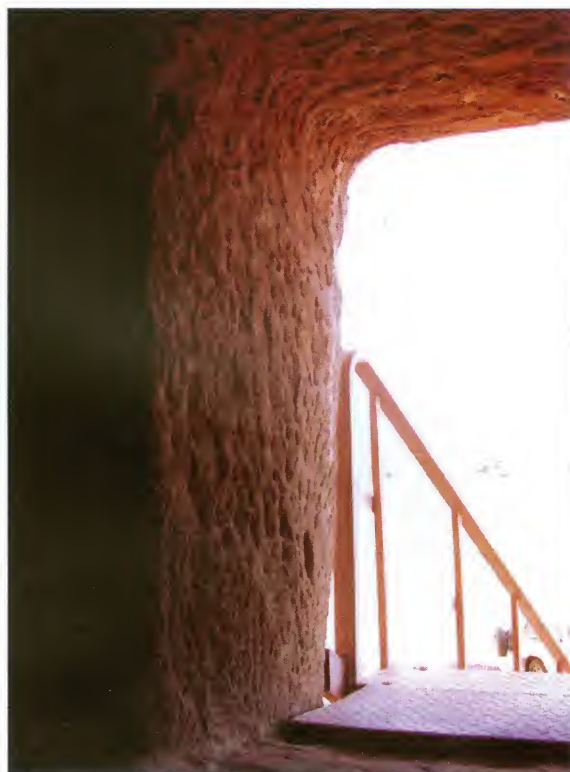
أ - دعامة يسرى ويمنى
a. left and right upright



ج - سداة حجرية في مكانها
c. stone block in place



ب - جدول استعداداً للأخدود
b. runnel in preparation for groove?



أ - آثار ملاط على الدعامة اليسرى
a. traces of mortar on the left upright



د - تفاصيل عن اخدود في الدعامة اليسرى
d. detail of groove in the left upright



ج - أخدود في الدعامة اليسرى
c.. groove in the left upright



ب - دعامه يسرى، اسكفة بلسان ، دعامه يمنى، اسكفة بفتحة

b. left upright: inset lintel; right upright: slotted lintel



د - أخدود ليشيت داعم للباب

d. groove to house a support for the door?



أ - سداة حجر داخل قبر

a. stone block inside the tomb



ج - أخدود لحجر الاغلاق ، عتبة ، وحجر رصف

c. groove for sealing block, threshold and paving



ب - دعامة يسرى، اسكفة بفتحة، دعامة يمينى، واسكفة لسان

b. left upright: slotted lintel; right upright: inset lintel



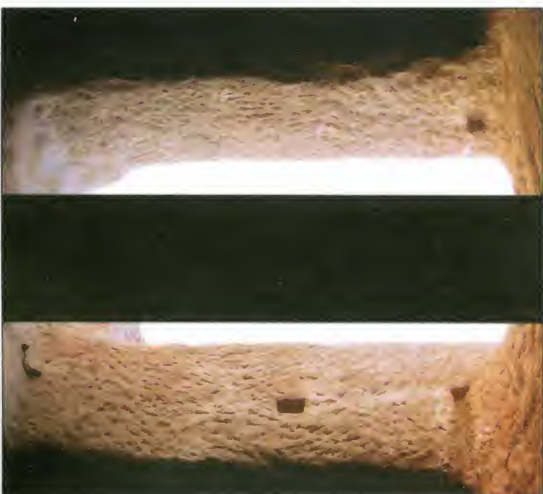
د - تفاصيل عن فتحة ثنائية على اليسار

d. detail of double inset on the left



أ - كوة في الجدار الخلفي للقبور (IGN ١٢٥)

a. Notch in the back wall of IGN 125



ج - دعامة يسرى، اسكفة لسان، دعامة يمينى، واسكفة فتحة

c. left upright: inset lintel; right upright: slotted lintel